

تفسير ابن كثير

وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ

وقوله : (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أي :

تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم : ما كنتم تتكتمون منا الذي

كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ، ولا تبالون منه في زعمكم ؛

لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم ؛ ولهذا قال : (ولكن ظننتم أن الله لا

يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) أي : هذا الظن الفاسد

- وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون - هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم

، (فأصبحتم من الخاسرين) أي : في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهلكم . قال

الإمام أحمد - رحمه الله - : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد

الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله قال : كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر : قرشي ،

وختناه ثقفيان - أو ثقفوي وختناه قرشيان - كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم ، فتكلموا

بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر : إنا إذا

رفعنا أصواتنا سمعه ، وإذا لم نرفعه لم يسمعه ، فقال الآخر : إن سمع منه شيئا سمعه كله

. قال : فذكرت ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله عز وجل : (وما كنتم

تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) إلى قوله : (من

الخاسرين) وكذا رواه الترمذي عن هناد ، عن أبي معاوية ، بإسناده نحوه . وأخرجه أحمد

ومسلم والترمذي أيضا ، من حديث سفیان الثوري ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ،

عن وهب بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - بنحوه . ورواه البخاري

ومسلم أيضا ، من حديث السفينيين ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر عبد الله

بن سخرية ، عن ابن مسعود به . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن بهز بن حكيم ، عن

أبيه ، عن جده ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله : (أن يشهد عليكم سمعكم

ولا أبصاركم ولا جلودكم) قال : " إنكم تدعون مقدما على أفواهكم بالفدام ، فأول

شيء يبين عن أحدكم فخذه وكفه " .